إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة أكتوبر ٢٠١٦ م

ولا يُعيّـِر

فضيلة العطاء هي فضيلة رائعة تجعل صاحبها محبوباً من كل من السمائيين والأرضيين إذ يتشبه بإلهه الذي لم يبخل حتى بابنه على البشرية بل بذله لأجلنا أجمعين. لكن عطاءنا قد يذهب هباءً ويُحسب في دفاتر السماء كرذيلة بدلاً من أن يُعد فضيلة عندما يصاحبه التعيير. فيعقوب الرسول وضح جلياً في صفات الله أنه: "يعطي بسخاء ولا يعير" (يع١:٥). وإذ عوَّدنا الوحي الإلهي على أن الكلمة الواحدة لا تكتب في الكتاب المقدس بغير غرض يخدم خلاصنا وتدبير نفوسنا فلابد وأن يعقوب الرسول أضاف عبارة "لا يعير" من أجل التأكيد على أمر ما.

التعيير هو أن يشعر الشخص المعطي بأنه ذو فضل على المتلقي وأن يظل يذكِّره بهذا الفضل لكي يشعره باستمرار أنه مدين له بالكثير. وعلى الرغم من أن عطاء الله لنا هو غير محدود بمقدار لا محدوديته، وعلى الرغم من أن مديونيتنا لله هي مديونية حقيقية إلا أن رقة قلب الله تجعله يتعفف بشدة عن أن يعايرنا بعطاياه التي لا تقدر بثمن أو أن يطالبنا بمقابل. إنه أمر حق أن "هبات الله ودعوته هي بلا ندامة" (رو١١:٢٩). والدليل على ذلك أن خطايانا المتكاثرة لا تجعله يندم على عطاياه لنا فيعايرنا بها فهو "يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين" (مت٥:٤٥). لعل هذا هو تعريف الجود أنه عطاء ذو صفتين: السخاء وعدم التعيير. لذلك أوصانا السيد المسيح في الموعظة على الجبل أن نتجنب تلك الرذيلة بقوله: "أحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً" (لو٦:٣٥)

التعيير بعد العطاء هو رذيلة ترتبط بعدة رذائل أخرى مثل قساوة القلب، الرغبة في التسلط على الآخر والتحكم فيه، الرغبة في الشعور بالأفضلية، الشفقة على الذات وتقمص دور الشهيد، الغضب، عدم التعفف، وإدانة الآخر بالجحود ونكران الجميل. هذا وتنتشر رذيلة

التعيير بعد العطاء في كل من العلاقات الزوجية وعلاقات الآباء والأبناء وتعتبر سماً قاتلاً يسمم العلاقات ويدمرها.

تنتشر أيضاً تلك الرذيلة بين الخدام بصورتيها الظاهرة المعلنة التي تجرح مشاعر المخدوم، والخفية المكتومة في القلب التي تنفضح في السلوك. فالخادم الذي يعطي من وقته، ومجهوده، ومقتنياته، وأمواله للآخرين إن شعر في قلبه بأنه يتفضل عليهم بما لا يستحقونه وبأنهم مديونون له بالكثير فإنه يكون ساقطاً في تلك الرذيلة كما قايين الذي شعر بأنه يتفضل على الله بتقدماته فاكتفى بتقديم ثمار الأرض.

وزوجة الكاهن أيضاً قد تحارَب بتلك الرذيلة. إنها تعطي الكثير والكثير من الوقت، والجهد، والمال لله، ولزوجها الكاهن، ولأبنائها، ولوالديها، ولمخدوميها. إلا أنها في أوقات كثيرة تفسد عطيتها الرائعة تلك بشعورها الدائم بمديونية الجميع لها وبأنها ضحت بالكثير والكثير. وهنا ينطبق عليها قول الحكيم: "الذباب الميت ينتن ويخمر طيب العطار" (جا١٠: ١).

وصور التعيير بعد العطاء في حياة زوجة الكاهن متعددة فهي قد تكتم تلك المشاعر في قلبها حتى يتزايد الضغط النفسي عليها وإلحاح احتياجاتها غير المشبعة فتنفجر في ثورة عارمة متلفظة بألفاظ التعيير الجارحة لزوجها الكاهن ولأبنائها متهمة إياهم بالجحود ونكران الجميل. وقد لا تكتمها داخلها بل تعبر عنها باستمرار في خلافاتها الزوجية مع زوجها الكاهن مذكرة إياه بالتضحية العظيمة التي قدمتها ومازالت تقدمها له كل يوم بقبولها لرسامته الكهنوتية. بل وقد يمتد تعييرها لله ذاته فتشعر في كل حين بأن الله مطالب في مقابل ما تقدمه أن يهبها خيراته وبركاته الأرضية والسمائية وإن حدث أن دخلت في ضيقة تشعر بالاستياء الشديد من الله الذي لم يحفظ لها جميلها وصنيعها معه!!!

والآن أريد أن أهمس في أذن كل زوجة كاهن: كل عطايانا هي في الحقيقة ليست إلا أشباه عطايا لأننا نعطي الله مما له، ونعطي الآخرين مما لله. إننا في واقع الأمر لا نمتلك شيئاً حتى نتفاخر بل ونعاير بما أعطينا. فلا الزوج، ولا الأبناء، ولا الصحة، ولا العافية، ولا الوقت، ولا الأموال والمقتنيات، ولا العمر كله ملكاً لنا بل هو جميعه مال ظلم قد ائتمنا عليه من قِبَل الله. بالتالي فإن التعيير بعد العطاء يُحسب كحماقة كبيرة تستوجب الندم والتوبة.